محاضرات في فلسفة التاريخ

جامعة الأنبار / كلية الآداب / قسم التاريخ

المرحلة الثالثة

أ.م. د. أبو الهيجاء محمد رافع حمدان العاني

الأسبوع الأول ١/ ١٠/ ٢٠١٩ والأسبوع الثاني ٨/ ١٠/ ٢٠١٩

مصطلح التاريخ. الإشكالية والاختلاف حولها زمانا ومكانا، وتعامل القرآن الكريم مع المصطلح، والمغزى من دراسته عند جمهرة المسلمين.

توطئة:

أثار مفهوم التأريخ قديما وحديثا اهتمام جمهرة كبيرة من المؤرخين والفلاسفة، وقد عبرت تلك الإثارة عن نفسها من خلال النتاج الواسع الذي تناول التاريخ مصطلحاً وفكرةً وفناً وميداناً من ميادين المعرفة الإنسانية. ولعل من أبرز ما عرف من ذلك النتاج هو ما قد عرف به العلامة عبد الرحمن ابن خلدون والسخاوي والكافيجي وابن الأثير والمقريزي وعشرات أعلام المؤرخين غيرهم.

أما مضمون فلسفة التاريخ فقد تمثل من خلال طبيعة الرؤية لأحداث التاريخ والتطور الإنساني التي قدمها المعنيون بالقضية التاريخية. وقد أصبحت الآليات التي أدت إلى تفعيل فلسفة التاريخ سواء تلك التي حاولت إزالة اللبس والغموض عنها، أم تلك التي حاولت تجاوز ذلك اللبس في مضمونذ فكري جديد أكثر تعقيداً وأقدر على استيعاب السياق العام للأحداث التاريخية على ضوء المتغيرات المعرفية في إطار المرحلة التاريخية، أصبحت تمثل فلسفة التاريخ.

الإشكاليات المفاهيمية للتاريخ:

أولاً: الإشكالية التأصيلية للتاريخ:

إن إشكالية "التأصيل" لمفهوم التاريخ، تدل بلا ريب على أهمية هذا المفهوم، فقد عاد الفيلسوف "هيجل" إلى اللاتينية بحثاً عن جذور ذلك المفهوم، ورجع "جوزيف هورس" إلى اليونانية باحثاً عن جذرٍ لكلمة "histoire" الفرنسية، ولا حظ "لويس جوتشلك" أن الكلمة الانكليزية "history" مشتقة من الكلمة اليونانية "هستوريا" والتي يقول عنها أنها كانت تعني

حسبما استخدمها "أرسطو" "سرداً منظماً لمجموعةٍ من الظواهر الطبيعية سواء جاءت مرتبة ترتيباً زمنياً أم غير مرتبة في ذلك السرد". وقد قابلت محاولات التأصيل الغربية محاولات مماثلة لها في المشرق العربي الإسلامي، فقد نقل "هاملتون جب" عن "البيروني" في كتابه "الآثار الباقية" و"الخوارزمي" في "مفتاح العلوم" تأكيدهما على خطأ الرأي القائل بأن كلمة "تاريخ" معربة عن الأصل الفارسي "ماه روز" والتي يراد منها تعيين بدء الشهر، وفي مقابل ذلك لاحظ الأصل السامي العام لكلمة "تاريخ" في كلمة عبرية هي "يا ريح" أو "يرح" والتي يقصد بها في اللغة المذكورة "الشهر". وقد ذهب "حسين نصار" إلى أن كلمة "يا ريح" تنتمي إلى الأصل العربي القديم والمشترك في اللغات السامية والتي تعني "القمر"، ويفهم من هذا الرأي تقويماً أكثر شمولية وإيجابية بالنظر لأن العرب القدماء كانوا يحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس كما أنهم يبنون تاريخهم على الليالي دون الأيام كما هو معروف في التقويم الهجري، وكون لفظ (التاريخ) أصيلًا في اللغة العربيَّة، وليس منقولًا إليها من لغاتٍ أخرى – هو الأقربُ إلى الصواب – لأنَّه لو كان هذا اللفظ معرَّبًا ما اختُلف حول أصل اشتقاقه: أهو مِن (أرَّخ) أو مِن (ورَّخ)! ولما كان الاختلاف قائمًا حول أصله بين القبائل العربيَّة، ولما فرَّق الأصمعيُّ بين لغة تميم وقيس، بقوله: "بنو تميم يقولون: (ورَّخت الكتاب توريخًا)، وقيسٌ تقول: (أرَّخته تأريخًا)"، وهذا الاختلاف يؤكِّد كون لفظ (التاريخ) عربيًّ.

ثانياً: الإشكالية الفكرية للتاريخ:

تتميز إشكالية التاريخ بأنها ذات وجوه عديدة إذا ما كانت علاقتها بالفلسفة من جهة وعلاقتها بالعلم من جهة ثانية.

وإذا كان الاستفهام الممثل بعلامته الشهيرة "؟" عاملا مساعدا أكبرا للتوصل إلى معرفة المستفهم عنه، والقابع خلف هذه العلامة، والمحاط بالغموض والضبابية على اختلاف درجاتها، فأن ذلك يوجب التوسل به من أجل المساعدة في معرفة وفهم طبيعة إشكالية المصطلح التاريخي والتعرف على أبعادها. وتنقسم الإشكالية تبعا لهذه الأهمية البالغة إلى شقين:

- **شق منهجي:**

تكشف النقاب عنه جملة من التساؤلات المهمة، والتي يدور أولها حول نسبة التاريخ وانتمائه، وهل ما إذا كان التاريخ علما بالمفهوم الفيزيقي، متمحورا حول الموضوع التاريخي أو المادة التاريخية، محاولا علاج إشكالياتها والتنظير من أجل تقنينها، أم كان أقرب للأدب منه إلى العلم، ومن هنا تكون معالجاته منطلقة من التمحور حول الذات أو عقل المؤرخ؟ وهذا التساؤل أو الاستفهام ذو طابع فلسفي بامتياز.

وقد ساعد التطور العلمي الذي تسارعت وتيرته منذ القرن السابع عشر على ظهور دعوات متكررة للمؤرخين لإبداع مناهج بحث تاريخية تتمكن من محاكاة تقدم مماثل قادر على محاكاة العلوم الطبيعية في دقة نتائجها.

أما التساؤل الثاني فيدور حول موضوع التاريخ. ولما كان التأريخ يؤرخ للذين دخلوه ولعبوا دورا فيه وحركوا مساراته، فإن هذا سوف يؤدي بالضرورة إلى التساؤل عن هويات أولئك اللاعبين، وهل ما إذا كانوا قادة أو ساسة، أم كانوا خلاصة لفكر الأمم ممثلين بالعلماء والفلاسفة والمفكرين والشعراء والفنانين، والأنبياء إن كانوا قد ظهروا في مسرح تاريخ تلك الأمم؟. وهل يؤرخ التاريخ للجانب السياسي والعسكري بحسبانهما أبرز جوانبه، أم يؤرخ لفكر الأمة المعبر عن شخصيتها؟. وهل يؤرخ التاريخ لشخصيات أم لحضارات؟ لأفراد أم لأمم؟ وهذه المشكلة بدورها وإن كانت تخص المؤرخين إلا أن الفلاسفة قد لعبوا الدور الأكبر فيها، إذ أن التحول في العصر الحديث من التاريخ لأفراد إلى التاريخ لحضارات قد دعا إليه فلاسفة، وأصبح التاريخ لحضارات يتخذ موقفا وسطا بين التاريخ والفلسفة فيما اصطلح على تسميته بـ "فلسفة الحضارة".

ويشكل "الحكم التاريخي" محور السؤال الثالث، وتتضح معالم المعالجة حين يتصور التاريخ بأنه شيخ مسن مهيب الطلعة، ممسكا بيده قلما يسطر به على قرطاس الزمن حكمه على من دخلوا التاريخ. وههنا يولد السؤال بشكل أكثر وضوحا، حين يدور حول أحقية المؤرخ في ارتداء زي القضاة ليحكم على أفعال الشخصيات، أو حين يكون واقفا موقف لا مبالاة وعدم اكتراث باسم الحياد التاريخي؟ وهل يكتفي بذلك الحياد أم أن عليه تبرير لا أخلاقية بعض صانعي التاريخ؟ وهذه الأسئلة ترتبط بلا شك بالفلسفة الأخلاقية والفلسفة السياسية، وتنجم عنها بوضوح أسئلة أكثر عمقا كالتساؤل عن مدى التشابه بين أخلاق الدولة وأخلاق الفرد؟ والتساؤل عن

خضوع الدولة لما يخضع له البشر من تقييم وأحكام، أم أنها من طبيعة مخالفة فلا تخضع لما يخضع له الأفراد العاديون؟

- **شق متعلق بقصور في طبيعة التاريخ ونقص في تركيبه.**

من الطبيعي في سلوك البشر كراهة الاعتراف بالقصور أو النقص، ومن هنا يمكن بيسر فهم معارضة المؤرخين الشديدة لفلسفة التاريخ، لأن فلسفة التاريخ تقيم نظرياتها على أساس نقص في طبيعة التاريخ، وهو نقص لا يكمله إلا الفكر الفلسفي. ويمكن التماس نقطة البدء في فهم القصور في تركيب التاريخ وتعزيزه بفكر فلسفي لدى اثنين من كبار المفكرين في التاريخ البشري، أما الأول فهو "ابن خلدون"، وهو مؤسس فلسفة التاريخ، وأما الثاني فهو "فولتير" وهو أول من أطلق تسمية "فلسفة التاريخ" على هذا الفرع من المعرفة. يقول ابن خلدون عن التاريخ:(هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول.)، والعبارة تفيد أن ظاهر التاريخ مجرد أخبار وحوليات وتقويمات، ثم يقول: (وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق.)، وهذه العبارة تشير إلى فلسفة التاريخ التي هي على حد تعبيره أصيلة في الحكمة أو الفلسفة ومن بين علومها. ويترتب على هذا أن يكون للتاريخ ظاهر وباطن، وبينما يشير الظاهر عادة إلى ما هو ظاهري خارجي براني، ممكن أن يعتريه القصور، فإن الباطن يشير إلى ما هو باطني حقيقي جواني كامن في باطن الأشياء، وفي هذه الإشارة ما يدل على تأكيد "ابن خلدون" على أن في التاريخ قصورا من الضروري استكماله بما هو أصيل في الحكمة. أما "فولتير" فقد كان أكثر صراحة في التعبير عن قصور التاريخ بقوله: (إن بعض المؤرخين يهتم بالحروب والمعاهدات ولكني بعد قراءة وصف ما بين ثلاثة آلاف واربعة آلاف معركة وبضع مئات من المعاهدات لم أجد نفسي أكثر حكمة مما كنت قبلها، لم أتعرف إلا على مجرد حوادث لا تستحق عناء المعرفة.). فوقائع التاريخ تعوزها الحكمة ومساره ينقصه إدراك المغزى أو المعنى وذلك ما أغفله المؤرخون واهتم به فلاسفة التاريخ، فوجد فريق منهم في مساره تعاقبا دوريا للحضارات كتعاقب الليل والنهار وكتعاقب الفصول، ووجد فريق آخر في مساره دليل عناية الله بالإنسان بينما وجد فيه فريق ثالث سجلا لإنجازات الإنسان قدما نحو الأمام.

ثالثاً: الإشكالية الفلسفية للتاريخ:

لما كان التاريخ كما نعرفه في الوقت الراهن ناجما عن جميع الأحداث والوقائع التاريخية التي راكمها الإنسان من الماضي إلى الحاضر، سواء تعلق الأمر بالآثار أو الوثائق أو المخطوطات أو الكتب أو الفنون أو المعالم الدينية أو الهجرات أو الحروب أو الغزوات أو المجاعات أو الحرائق و أو اجتياح الأوبئة أو الاكتشافات الجغرافية أو العلوم أو الصناعات أو الاختراعات وغيرها، أي كل حدث إنساني حصل في الماضي وأصبحت لدينا معرفة عنه. هذا الكم الهائل من الأحداث و الوقائع يضعنا أمام إشكالات فلسفية تباينت حولها المواقف الفلسفية. ويمكن حصر هذه الإشكالات في ثلاث مسائل أساسية يجب مناقشتها وهي:

المسألة الأولى متعلقة بالمعرفة التاريخية: فهل كل ما نعرفه عن الماضي هو حقيقي؟ بمعنى هل طرق بناء المعرفة التاريخية تتسم بالموضوعية ويمكن الوثوق فيها؟ وما هو المنهج الذي يستخدمه التاريخيون لبناء معرفة حقيقية بأحداث الماضي؟ ألا يمكن أن يكون التاريخ مجرد سرد لأخبار الماضي لا غير؟

المسألة الثانية تتعلق بالتاريخ نفسه: وتجعنا نسلط الضوء على مسار التاريخ. هنا نحتاج أن نتأمل التاريخ الإنساني في كليته وليس في أجزائه، بمعنى أننا سنتساءل عن مسار التاريخ الإنساني كله: كيف تطور وكيف كان مساره؟ هل يمكن الحديث عن مسار واحد للتاريخ أم مسارات متعددة؟ هل يسير التاريخ حقا في اتجاه التقدم؟ أم أن التاريخ الإنساني يعيد نفسه لا غير ولا يتقدم؟ هل هو إذن تاريخ راكد؟ وما هو التقدم تحديدا؟

المسألة الثالثة تتعلق بدور الإنسان في التاريخ: هل حقا كان الإنسان فاعلا في التاريخ ومؤثرا فيه؟ أم أن التاريخ قوة جبارة تحكمت في مسار الإنسان ولم تترك له المجال مطلقا لتقرير مصيره؟ "الريف، الفقر".

هذه هي الإشكالات التي إذا ما قمنا بالتفكير فيها على غرار الفلاسفة، فإننا سنتمكن حتما من وضع تصور كلي لما نحن عليه، لماضينا ولحاضرنا، ولمستقبلنا، وهنا تكمن أهمية فهم التاريخ.

الأسبوع الثالث ١٥/ ١٠/ ٢٠١٩

المنظور الإسلامي للتاريخ:

التاريخ حافظة الأمم، وسجل الزمان، به يعرف أخبار من غبر، وأحوال من مضى، ويستمد منه الناس معالم القوة لحاضرهم، وآفاق البقاء لمستقبلهم، ولذا، فقد كانت عناية الأمة به حاضرة، والأمر فيه بالغ.

ورغم أن كلمة "التاريخ" لم ترد في القرآن الكريم، إلا إنه احتوى على مادة مقابلة يمكن أن تفيد في تفسيرها تاريخياً مثل (أساطير الأولين) أو (أنباء)، أو (قصص)، كما جاء فيه ما يمكن أن يعتبر منه من حوادث التاريخ كقوله تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)، أو قوله تعالى (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين). وبالإضافة إلى ذلك فإن كلمة التاريخ لم تذكر في الأدبيات العربية القديمة في صدر الإسلام بل وردت متأخرة، ويحددها الأستاذ "فاضل حسين" بحوالي القرن الثاني للهجرة، أما كلمة مؤرخ فإنها لم ترد أيضاً بينما وردت كلمة "إخباري".

ولأهمية التاريخ، فقد حفل القرآن الكريم به كثيرا، حتى إنه يكاد ينال منه النصيب الأكبر والحظ الأوفر، وهو تنبيه إلهي لنا لإدراك أهمية التاريخ في حياة الأمم عامة، وفي حياة تلك الأمة المحمدية خاصة.

وقد تنوع ما ذكره القرآن الكريم من تاريخ عبر آياته، فمنه ما كان تاريخا للأنبياء – عليهم السلام – فقد ذكر قصص آدم وإدريس ونوح، وهود، ولوط، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وأيوب، وذي الكفل، ويونس، وموسى وهارون، وإلياس، واليسع، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ثم ختم بهم بمحمد صلوات الله عليهم أجمعين، كما ذكر القرآن قصصا تاريخية لغير الأنبياء، منها ما كان ذكرا لتاريخ بعض الجماعات، كأصحاب

الأخدود، وأهل الكهف، وأصحاب الجنة، وأصحاب الفيل، ويأجوج ومأجوج، ومنها ما كان ذكرا لتاريخ بعض الأفراد، منهم من كان مؤمنا، كمؤمن آل فرعون، وذي القرنين، وملكة سبأ، والعبد الصالح مع موسى عليه السلام، ولقمان، وطالوت وغيرهم، كما كان منهم من كان كافرا، كقارون، وجالوت، وأبي لهب وامرأته، أو عاصيا كصاحب الجنة، ونحوهم.

وهي إشارة من القرآن الكريم في العناية بتدوين التاريخ بأنواعه، من التاريخ السياسي، والتاريخ الاجتماعي، وهو الذي غفل عنه كثير من المؤرخين.

- **مقاصد التاريخ في القرآن:**

١- الاعتبار:

من جميل مقاصد القرآن الكريم فيما يورده من قصص التاريخ وفلسفته أنه تحدى حيز السرد والحكاية إلى ما وراءها من الدروس والعبر، والوقوف وراء الحدث تحليلا ونقدا وإدراكا ليتخطى الحدث ذاته إلى مقصوده من أخذ العبرة، وهذا ما يفصح عنه القرآن من بيان أحد مقاصد التاريخ فيه، { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (يوسف:١١١)، فالقرآن يلفت الانتباه إلى «العبرة التاريخية» وهي العبور من الحدث وعدم الوقوف عنده مليا بالانشغال في تفاصيله إلى الوقوف على جذوره، حتى نصل إلى إدراك أسباب الحادثة، ثم تطبيق تلك الحادثة على ما يشابهها من حوادث متكررة، والاستفادة منها في واقعنا المعاصر، بل وفي استشراف المستقبل أيضا، ومن هنا كان التاريخ أحد كواشف خلود القرآن، وأنه ليس نصا تاريخيا، وإن احتوى حوادث تاريخية لا للوقوف عليها بل للاستفادة منها في غيرها من الحوادث التي لا تنتهي، وذلك من إعجاز القرآن.

٢- التعاون الإنساني:

إن الاطلاع على التجارب البشرية السابقة، وسبر أغوارها، والوقوف على الحوادث المتنوعة لها في مجالات الحياة، ليدفع المسلمين إلى اعتبار مقصد التعاون الإنساني، وأنهم لم يجيئوا لهذه الأرض – مفضلين على غيرهم بما أوتوا من الكتاب – ليعيشوا وحدهم، ولا أن يتسلطوا على غيرهم، ولا أن يسمحوا لغيرهم أن يتسلطوا عليهم، بل يدركون أن الحياة الدنيا مبنية على التعاون بين بني آدم جميعا، لأن الله تعالى أكسبهم الأرض مسلمهم وكافرهم، وأن في طيات

ذكر تاريخ الأمم السابقة ما يحمل من أسباب الحياة الكريمة وبيان أسباب انهدام الحضارات وتلاشي نزول العذاب، وقد أكثر القرآن الكريم من تنبيه المسلمين إلى ما حصل لمن قبلهم، فذكر عشرات الآيات مقرونة بـ «من قبلهم»، و «من قبلكم» و «من قبل»، ليربط المسلمين بتاريخ الأمم جميعا، وأنه يجب التفريق بين ما هو عقدي لا يمكن التنازل عنه، ولا التقارب فيه، ولا اعتباره واحدا، وبين الاشتراك والتعاون على الأرض التي جعلنا الله تعالى جميعا فيها شركاء لتحقيق المصالح الدنيوية، وقد جاء الحث بالتعاون في سياق الحديث عن الخلاف بين المسلمين والمشركين، { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (المائدة:٢)، وقد جاء الأمر بالتعاون على البر، والبر اسم جامع لكل خير، والخير غير ممنوع عن الناس أيا كانت عقائدهم.

٣- إثبات صدق النبوة:

إن التاريخ الذي جاء به محمد " صلى الله عليه وسلم" في القرآن، لهو أكبر دليل على صدق نبوته، فمحمد بن عبدالله " صلى الله عليه وسلم" الذي نشأ في مكة أميا، لم يذهب إلى معلم، ولم يعرف عنه أنه قرأ أو كتب كتابا أو رسالة، أو قال شعرا كما هو معهود قومه وعشيرته، لكنه يأتي بنصوص تخبر عن تاريخ الأمم السابقة، بما لم يكن يعلمه العرب، ويغيب عن كثير ممن كان يعيش معه في زمنه؛ لهو دليل على صدق نبوته، وأنه ما كان حديثا يفترى، فالإعجاز التاريخي – كما ذكره السيوطي – هو ما انطوى عليه من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة، والشرائع الدائرة ممَّا كان لا يَعْلَمُ منه القصَّة الواحدة إلّا الفذُّ من أحبار أهل الكتاب، الذي قطع عمره في تعلُّم ذلك، فيورده رسول الله " صلى الله عليه وسلم" على وجهه، ويأتي به على نصِّه، وهو أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب.

٤- علاج أمراض الأمم:

إن النظر في تاريخ الأمم السابقة ليس ضربا من الماضي، وأن تلك هي حدوده الموقوف عندها، ذلك أن السنن الكونية في الشعوب والأمم واحدة، وأن تجارب الإنسان متكررة، فالإنسان هو الإنسان – من مائة قرن خَلَتْ إلى مائة قرن يلدها المستقبل المنظور أو أكثر – لن تتغيَّر طبيعته، ولن يتبدَّل جوهره؛ لذلك فقد حفظ القرآن قصص الأوَّلين مع أنبيائهم، وجدَّد على الناس

ذكرها بعدما طَوَتِ الليالي أصحابَهَا؛ ليُدَاوِيَ بها عِلَلا متشابهة، وقد كثرت القصص لتحصي جملة كبيرة من الأمراض الاجتماعيَّة، وتستأصل جرثومتها بصنوف العِبَر وشتَّى النُّذُر، وهو ما ذهب إليه الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه «نظرات في القرآن» (٩٥-٩٨).

٥- تعلم الثبات على الحق:

إن القصص القرآني بما يحويه من تاريخ الأمم السابقة وما حدث لها من حوادث عبر الزمن، لهو زاد كبير للمؤمنين في الثبات على الحق، والحفاظ على الدين، باعتباره أحد مقاصد الشريعة الكبرى، وقد اختتم الله تعالى الحديث عن قصة هود عليه السلام في السورة التي سميت باسمه بقوله تعالى: { وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } (هود:١٢٠)، فجعل التذكير بتاريخ الأنبياء والصالحين من الوسائل المعينة على الثبات على الدين، وأن ما يلاقيه المسلمون من عنت وحرب وفتنة من أعدائهم هو من سنن الله تعالى في الصالحين، فيهون ذلك في نفوسهم، ومن جميل ما ذكر القرآن أنه جعل الثبات محله القلب: { نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ }، ذلك أن الثبات على الدين من الحق الواجب اتباعه، وهو ذكرى للأمة حتى لا تنسى وتخالف سنن الصالحين عبر تاريخهم.

٦- معرفة سنن قيام الحضارات وهدمها:

إن ما زخر به القرآن الكريم من ذكر قصص السابقين وتاريخ الأمم التي كانت قبلنا كان من أهم مقاصده معرفة السنن الكونية في بناء الحضارات وانهدامها، وزوال الممالك وبقائها، وهي عبر تمهد للأمة معرفة مواطن القوة ومواطن الخلل في مسيرتها الحضارية، بما يحفظ بقاءها وأسباب تماسكها الداخلي، وإدراك طبيعة العلاقة مع غيرها تعاونا وحذرا وجهادا وصدا للعدوان، وإعدادا لصد الخطر الذي قد يداهمها، ومد يد العون لغير المعتدين، والسعي والتعاون لبناء حضارة إنسانية راقية على منهج الإسلام، وذلك من خلال إعمال العقل فيما حفل به القرآن من تاريخ غيرهم، كما قال تعالى: { فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (الأعراف:١٧٦).

الأسبوع الرابع ٢٢/ ١٠/ ٢٠١٩

طبيعة العلاقة بين العلم والفلسفة والتاريخ:

طبيعة العلاقة بين العلم والتاريخ:

إن العلاقة بين العلم والتاريخ والفلسفة هي علاقة تفاعلية يمكن التعرف على طبيعتها من خلال التعرف على كل طرف من أطرافها:

-العلم:

هو عكس الجهل. وهو الإدراك الحاصل بالدليل الشامل لليقين الجازم والظن الغالب، وما بينهما من درجات ومراتب. ويترتب عليه إدراك الشيء على حقيقته إدراكاً جازماً.

ويعرف كذلك بأنه نشاط عقلي ومعرفة تراكمية، تتوخى الكشف عن الظواهر المادية وغير المادية في العالم.

الفلسفة:

بدأت الفلسفة بالاستفهام، وتركت الإجابة للعلوم.

وتعرف الفلسفة تعريفاً أبجدياً من خلال ذات التعريف الذي عرفها به اليونان على أنها (حب للحكمة)، وهو تعريف مشتق من كلمة "philo" التي تعني "حب" و كلمة "Sophia" التي تعني "الحكمة"*، ثم تطور التعريف بها حتى وصل إلى أنها "فنٌ للتفسير" وهو التعريف الذي عرفها به الفيلسوف الألماني "فريدريك نيتشه" في القرن التاسع عشر. والفلسفة في مدلولها العلمي العام تعني الاسترشاد بنظرة صحيحة إلى العالم تمثل مجمل المفاهيم عن الحياة في أبعادها الشاملة أو ظواهرها وأحداثها كلاً على حدة، كما تبدو من خلال نظرة واحدة أحياناً.

أما فلسفة التاريخ فهي النظر في ما هو كائن ومحاولة الانتقال به إلى ما ينبغي أن يكون عليه*.

ومن هنا يمكن القول بأن الفلسفة في علاقتها الجدلية بموضوعة التاريخ هي إجابة عن السؤال "كيف؟"، في حين يكون التاريخ وعمل المؤرخ واقعا تحت الإجابة عن السؤال "متى؟"*.

التاريخ:

لغةً:

تدل كلمة التاريخ أو التأريخ في اللغة العربية على الإعلام بالوقت، وهو مذهب السخاوي في تعريفه. والتاريخ كذلك تعريف بالوقت والتوريخ والتاريخ مثله فيقال أرخت وورخت، وهذا مذهب الجوهري. أما المقريزي فيعرف التاريخ بأنه إخبار عما حدث في العالم الماضي، وهو مشتق من الأرخ – بفتح الهمزة وكسرها – وهو صغار الأنثى من بقر الوحش، لأنه شيء حدث كما يحدث الولد.

اصطلاحا:

عرَّفه ابن خلدون بقوله: "التاريخ خبرٌ عن الاجتماع الإنسانيِّ الذي هو عُمْران العالم، وما يَعرِض لذلك العمرانِ من الأحوال؛ مثل التوحُّش والتآنس، والعصبيَّات، وأصناف التقلُّبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من المُلك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعايش، والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران من الأحوال"، ويعرفه "ابن خلدون" أيضاً بأنه: " فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية. إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا".

كما يمكن أن تدل مفردة التاريخ على بلوغ الصفات مديات متقدمة جدا كما يقال عن الكرم الشديد للرجل بأن فلان غاية في الكرم، ومثله يقال عن الوفاء وسائر الصفات.

والتاريخ عند اغلب المؤرخين هو بحث ودراسة واستقصاء لأخبار الناس وحركتهم، والنظر في أحوالهم الماضية، أما موضوعه فهو الحياة الإنسانية في امتدادها الزمني على الأرض منذ بدء الخلق إلى اليوم، وما يحكم هذه الحياة من عوامل وأسباب.

وعلى الرغم مما للوثيقة التاريخية من أهمية إلا أنها لا يجب أن تمثل مكانة تقترب من حدود التقديس*، وذلك لكي لا تتعطل ملكة النقد التي هي من صميم مهام الوعي البشري، ولعل قضية خطيب الثورة الفرنسية "ميرابو"* تؤشر بوضوح شديد ضرورة تمحيص الوثائق ونقدها من خلال المنهج التاريخي.

التفاعل بين العلم والتاريخ*:

تميز مجال "الإبستمولوجيا"* بإثارة عدة قضايا منهجية حول مدى إمكانية قيام علوم إنسانية ترقى معارفها إلى مستوى موضوعية ودقة الحقائق التي أنتجتها العلوم الطبيعية أو "الصرفة". فقد شكلت مسألة "الموضوعية" وجها بارزا لهذه الإشكالية، وخصوصا في مجال المعرفة التاريخية. فالتاريخ، بوصفه معرفة تنصب على ماض زال وانتهى، مثل ميدانا مناسبا لطرح هذه المسألة، إما بهدف إثبات تعذر قيام معرفة علمية بالتاريخ بسبب انتفاء شرط الموضوعية، أو بغاية التأكيد على خصوصية تفرض اعتماد معايير أخرى تناسب طبيعة المجال وتوفر، بالتالي، العلمية المنشودة للمعرفة التاريخية.

وفي هذا السياق يندرج موقف "**ماكس فيبر**" (١٨٤٦ – ١٩٢٠) الذي يعتبر أن الحوادث التاريخية – التي تشكل موضوع عمل المؤرخ – تتميز بالكثافة من جهة، الشيء الذي يطرح صعوبة الإحاطة بها مهما بلغ المنهج المعتمد من صرامة. ومن جهة أخرى، تمثل وقائع الماضي حوادث متفردة لا تسمح بالتوصل إلى قوانين ثابتة كما هو الشأن بالنسبة للعلوم الصرفة (مشكلة انتفاء تكرار الحوادث وتعذر التعميم).

وإضافة إلى هذه الصعوبات الموضوعية النابعة من طبيعة الواقع التاريخي، يؤكد" ماكس فيبر" على أهمية البعد الإيديولوجي***– كعامل ذاتي – في توجيه عملية التفسير التي يقدمها المؤرخ للتاريخ، وذلك من خلال انتقائه للعوامل أو الأسباب المفسرة لحوادث الماضي، حيث تتدخل القيم والأحكام الذاتية في إعطاء الأولوية لعامل على آخر. وهكذا ينتهي هذا التصور إلى اعتبار أن المعرفة التاريخية لا يمكن أن تكون تامة فضلا عن امتزاجها بذاتية المؤرخ أو نظرته الخاصة.

ويواجه الباحثون، بصدد تحديد طبيعة وقيمة المعرفة التاريخية، أطروحات تدافع عن إمكانية بناء معرفة علمية بالتاريخ من خلال التأكيد على أن الصعوبات الموضوعية والذاتية التي تكشف عن الطابع المحدود والنسبي لهذه المعرفة لا تمثل مدعاة للطعن في مشروعية المعرفة التاريخية بقدر ما تكشف عن الخصوصية التي تميز هذا المجال.

***** نسق من الأفكار موظف لخدمة مبادئ معينة تؤمن بها شرائح معينة على المستوى السياسي أو الاجتماعي، وتقع في قمة هرم المؤسسة الحاكمة، وغالبا ما تندرج تحت جلباب القداسة إن كانت على المستوى العقائدي، أو تندرج كأهمية قصوى كونها مبادئ يجب الإيمان بها على المستوى السياسي.**

وفي نفس الاتجاه، يركز "**ريمون آرون**" (١٩٠٥/١٩٨٣) على عائق المسافة الزمنية التي تفصل الماضي الذي يراد استعادته عن الحاضر المعيش. فالواقع الذي نعيشه ندركه بطريقة تلقائية؛ أما الماضي الذي لم نعشه فيتعذر فهم دلالات أحداثه. وينجم عن ذلك أن المعرفة التاريخية تظل صعبة المنال في شموليتها، ولا يمكن إلا أن تكون نسبية محدودة. كما أن جدلية الماضي والحاضر هذه قد تجعل المؤرخ متأثرا بواقعه الاجتماعي في فهم دلالات الماضي (العامل الإيديولوجي). ويقول "**آرون**" عن ذلك: (لم تعد المعرفة بالتاريخ قائمة على قص ما حدث نقلا عن وثائق مخطوطة، ولكنها قائمة في ما نريد أن نكتشفه).

ومع المفكر "**بول ريكور**" (١٩١٣ – ٢٠٠٥) نواجه طرحا آخر يحاول إضفاء المشروعية العلمية على التاريخ والذي يؤكد على "الخصوصية" التي تطبع المعرفة التاريخية بوصفها معرفة لا تنصب على معطيات جاهزة مثل العلوم الحقة، بل هي معرفة يتم بناؤها اعتمادا على منهج خاص يقوم على استنطاق مخلفات الماضي وتحويلها إلى وثائق "دالة" بناء على منهج دقيق يمارس من خلاله المؤرخ الملاحظة والنقد. وهذه الممارسة المنهجية لا تختلف، من حيث قيمتها عن المنهج المعتمد في العلوم الحقة، مع تميزها بخصوصية توجبها طبيعة الظاهرة التاريخية.

أما عن الموضوعية المتوخاة في المعرفة العلمية، فيؤكد "**بول ريكور**" على أن خصوصية موضوع التاريخ ومنهجه تقتضي النظر إلى المعرفة التاريخية من خلال معيار لا يخضع، بشكل مطلق، للمعنى المتعارف عليه في العلوم الحقة حول مبدأ الموضوعية. فالمعرفة التاريخية لا تخلو من الذاتية التي تتمثل في ترجيح المؤرخ لعامل مفسر على آخر. ومن ثم، بدل التمسك بمطلب الموضوعية التامة التي تضفي على المعرفة سمة الإطلاق، ينبغي اعتبار المعرفة التاريخية نسبية يتداخل فيها الذاتي بالموضوعي. والمعرفة التاريخية ينبغي لها أن تنصرف عن الرغبة في الموضوعية إلى البحث عن ذاتية "جيدة" تسعى إلى جعل التاريخ معرفة ممكنة.

وعموما، يتضح أن المعرفة التاريخية قد لا تكون تامة وموضوعية بالنظر إلى العوائق المنهجية – الموضوعية والذاتية – التي تؤكد عليها التصورات السابقة. غير أن ذلك لا ينفي كونها معرفة لا تخلو من شروط العلمية بالنظر إلى الخصوصية التي تميز موضوع ومنهج التاريخ.

ولما كان التاريخ من خلال تلك المحاولات الرامية لفك تلكم الإشكاليات، متعلقا بماضي الإنسان فإن "استحضار" هذا الماضي يعني دراسة التاريخ، التي تعبر عن "الوعي بالتاريخ" من خلال وسائل المعرفة التاريخية، وأبسط تلك الوسائل هي وسيلة "السرد التاريخي" التي تقوم بدورها على "المنهج التاريخي Historical method" والذي يعني عملية الفحص والتحليل الدقيق لسجلات الماضي ومخلفاته، ودراسة وتفسير الوثائق. ويعتمد المؤرخ وفقاً لهذا على "المنطق" و"الوثائق". وعندما يطرح السؤال الذي يستفسر عن علاقة الوثيقة بالمنطق فإن الإجابة تكون قائمة على النظر إلى التاريخ على إنه وثائق تتعلق بجزء محدود من الماضي، ولا يمكن أن تستجمع أجزاؤه إلا من خلال المنطق الذي هو عبارة عن مجموعة العلاقات التي تربط بين عدة قضايا، وتكون محكومة حكما ضرورياً مع بعضها البعض. ومن شأن الاستعانة بالمنهج التاريخي هو محاولة الارتقاء بالتاريخ إلى مرتبة العلوم.

م/ توجب التوسع في هذه المادة شريطة أن يكون ملزما للطالب.

الاسبوع الخامس ٢٩/ ١٠/ ٢٠١٩

طبيعة العلاقة بين العلم والفلسفة والتاريخ:

التفاعل بين التاريخ والفلسفة:

لقد تطور مفهوم فلسفة التاريخ في الدراسات الحديثة فأصبح يشير إلى جانبين مختلفين من جوانب دراسة التاريخ:

الجانب الأول: يجعلها دراسة لمناهج البحث، أي الطرق والأساليب المستعملة للتحقق من الوقائع التاريخية، وهذه الدراسة تتضمن في جملتها الفحص الدقيق لمنهجية المؤرخ، وهي هنا تقوم بدور الناقد الأعلى، وهذا الفرع يطلق عليه الفلسفة النقدية للتاريخ. **الجانب الثاني** فيتمثل في تقديم وجهة نظر عن مسار التاريخ ككل، وهو ما يطلق عليه الفلسفة التأملية للتاريخ، والتي تهتم بالأسباب المؤدية إلى ظهور أنماط معينة في حركة التاريخ، عن طريق اكتشاف القوانين المتحكمة في ذلك والتنبؤ على أساسها بالمستقبل، وهذه النظرة التأملية للتاريخ تمثل الدراسة التي يقوم بها المؤرخ للعصور السابقة بهدف استخلاص القوانين التي تحكم

سـيـر الحيـاة والإنسـان والمجتمـع والدولـة والحضـارة.

أما عن طبيعة العلاقة بين المؤرخ وفيلسوف التاريخ، فيمكن القول بأنها تفاعلية، ويمكن أن نقف على ملامحها العامة من خلال تأثير طبيعة كل من المؤرخ والفيلسوف على مدى دقة عمل كل منهما. فحيث يكون عمل المؤرخ محصوراً في تدوين الأحداث وتنسيق الوثائق، فإن ذلك قد يؤدي إلى استغراق المؤرخ في الوثيقة نفسها ومن المحتمل أن يؤدي ذلك إلى الغرق في سجلات الماضي والشعور بالانتماء إليها، الأمر الذي قد يفقد المؤرخ السيطرة على طريقة التعامل مع الحاضر، هذا من جهة، وعندما يكون عمل الفيلسوف منحصراً في إيجاد علل وغايات نهائية للتاريخ، فهو هنا لا يكون بمنأى عن التحليق بعيداً أرض الواقع ومحاولة إحاطة الواقع بمقولات قبلية مسبقة يحاول الفيلسوف تفسير التاريخ وفقاً لها، وهذا من جهة أخرى، كما إن فلسفة التاريخ لم توجد لأنها تعوض قصور كل من الفلسفة والتاريخ فحسب، وإنما لأنها تلبي للإنسان حاجة فكرية في بعض المراحل التي يمر بها، فكلما انتاب الإنسان في حاضره جزع على مصيره في المستقبل لجأ إلى الماضي يستحضره. وعلى هذا فيمكن أن نلاحظ أن عصور الكوارث والنكبات في التاريخ الإنساني كانت دائماً باعثاً إلى التفكير في الماضي وفي المصير، ومثيرة للاهتمام بتفسير التاريخ وتعليله. فقد حاول القديس "أوغسطين" أن يفسر التاريخ وهو يشاهد تداعي العالم القديم وسقوط روما، فوضع نظرية العناية الإلهية. وبلغت الحضارة الإسلامية مرحلة تدهورها فألهم ذلك "ابن خلدون" إلى أن يضع أول نظرية في فلسفة التاريخ وهي نظرية "التعاقب الدوري للحضارات". وحينما وطئت أقدام الإمبراطور "نابليون بونابرت" الأراضي الألمانية أمام نظر الفيلسوف الألماني "هيجل" صدرت عبارته الشهيرة (إن بومة منيرفا لا تحلق إلا عند الغسق)، وخرج بنظريته المثالية الجدلية الشهيرة في فلسفة التاريخ. وجزع كل من "توينبي" و "إشبنجلر" على مصير الحضارة الغربية بعد الحرب العالمية الأولى فكانت نظرية الأول تدور حول عامل التحدي والاستجابة، فيما كانت نظرية الأخير تدور حول المصير.

الأسبوع السادس ٥/ ١١/ ٢٠١٩

مقولات فلسفة التاريخ وجوهر أهداف فلسفة التاريخ:

مقولات فلسفة التأريخ:

يمكن لنا تحديد مقولات فلسفة التاريخ فيما يلي:

أولاً: مقولة الكلية:

إن نقطة البداية في فلسفة التاريخ هي التكامل بين الأجزاء والترابط بين الوقائع، إذ تبدو الأحداث التاريخية أمام نظر الفيلسوف أجزاء لا رابط بينها، ومن ثم تُطلب الوحدة العضوية بين هذه الأجزاء لأن فلسفة التاريخ لا تقف عند عصرٍ معين ولا تكتفي بمجتمع خاص وإنما تضم العالم كله في إطار واحد من الماضي السحيق حتى اللحظة التي يدون فيها الفيلسوف نظريته، بل قد لا يقتنع بذلك إنما يمتد تفسيره إلى المستقبل فيشعر بأنه تجاوز الوقائع الجزئية إلى التاريخ العالمي.

ثانياً: مقولة العلية:

يلجأ الفيلسوف في فلسفة التاريخ إلى اختصار العلل "الأسباب" الجزئية للأحداث التاريخية إلى علة واحدة "سبب واحد" أو علتين "سببين" على أكثر تقدير، يفسر في ضوئها التاريخ العالمي، وهذا يقتضي منه إعادة تشكيل وقائع التاريخ وأحداثه لكي يقدم منها صورة عقلية، وخير مثال على هذا نظرية "المادية التاريخية" للفيلسوف الألماني "كارل ماركس" حيث أرجع الأحداث التاريخية إلى سبب واحد أو عامل واحد هو العامل الاقتصادي أو المادي، وقال أن العصر القديم – أي تاريخ الإنسان في عصوره التاريخية الأولى – كان قائماً على الاقتصاد القائم الرق وفي تاريخ العصور الوسطى قامت المجتمعات على الاقتصاد المستعبِد، بينما يقوم مجتمع العصور الحديثة على الاقتصاد الرأسمالي، وتنبأ أنه في الزمن المقبل سوف تقوم حياة المجتمعات على اشتراكية وسائل الإنتاج. ومن هنا تعد مسألة العلية ركنا أساسيا في فلسفة التاريخ، بل هي مسلمة تقرر أن مسيرة الحياة – والبشرية جزء منها – تخضع لنظام شامل يربط بين الأجزاء ويقود النوع الإنساني – كما يقود غيره – وأن بإمكان العقل البشري أن يصيب بعض التوفيق في محاولة الكشف عن علل الحوادث وترابطها.

جوهر أهداف فلسفة التاريخ:

على الرغم من التطور العلمي الذي شهده ميدان فلسفة العلم والذي كانت نتائجه واضحة على حقول العلم كافة، فقد كان رفض الحقيقة المطلقة وارتقاء مفهوم الحقيقة النسبية واضحاً وكانت نتائجه واضحةً في فلسفة التأريخ، فقد أضحت المسائل الفلسفية المتعلقة بمعنى الحياة كالسعادة والحرية قابلة لفهم إنساني يصل إلى حد التناقض تبعاً للانتماء الاجتماعي أو السياسي مما أصبح القول بوجود فلسفة اجتماعية واحدة أمراً مستحيلاً. ومن هنا أصبح التسويغ الفلسفي الذي يخدم المصالح الذاتية بأبعادها السياسية الاجتماعية قضية تتجلى مراراً وتكراراً، وتتعقد وتتطور حتى وصلت إلى مرحلة التسويغ لاضطهاد الإنسان واستعباده خدمة لتلك المصالح. وهكذا أصبحت خدمة الإنسان قضية نسبية إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن الكثير من الطاقات الفكرية يجري توجيهها لأغراض ذاتية وقومية أو عنصرية أو طبقية وهي لا ترقى إلى الهدف الإنساني دائماً وأبداً إلا من خلال نظر أصحابها ومناصريهم فقط. وهذا لعمرك يجري في وادٍ وحقيقة الهدف من وراء دراسة التاريخ ومن وراء فلسفة التاريخ في وادٍ آخر.

ومن هنا كان المأمول من وراء مقولات فلسفة التاريخ هو استثمار الأدلة التاريخية الوثائقية والمنطقية من أجل استكمال الرؤية التاريخية في صيغة نسق كامل يطل على الماضي والمستقبل في آنٍ معاً، وهذا الاستثمار يحتاج إلى مجهود فكري من أجل الحفاظ على النسق الجديد محافظاً على كينونته في عالم فكري له امتداداته الزمانية والمكانية، وهذا بدوره يحتاج إلى رؤية فلسفية لا تعبر عن المصالح الذاتية فقط وإنما تمثل رؤية صحيحة إلى العالم وإلى واقع الإنسان ومستقبله.

م/ توجب التوسع في هذه المادة شريطة أن يكون ملزما للطالب.

الأسبوع السابع ١٢/ ١١/ ٢٠١٩

التدوين التاريخي:

تطور التدوين التاريخي في العصور القديمة شرقا وغربا:

تطور التدوين التاريخي

يطلق تعبير التدوين التاريخي عادة على عملية إعادة البناء التصوري للماضي من واقع الحقائق المستخلصة بالطريقة التاريخية، وقد مرت عملية تدوين التاريخ بمراحل متعددة يمكن تصورها على ضوء الوثائق التاريخية التي تعود إلى الحقب التاريخية المختلفة. ويمكن النظر إلى تلك العملية وفقاً للمراحل الآتية وذلك قبل وصولها إلى المستوى المتطور في حقبة التاريخ المعاصر.

١-العصور القديمة:

في الشرق:

يعد سكان وادي الرافدين ووادي النيل أسبق الشعوب إلى اختراع الكتابة وتسجيل الأحداث في صورة رموز حفرت على الحجر والفخار أو نقشت على البردي، وفي الألف الثاني قبل الميلاد اكتشف الفينيقيون الحروف الهجائية ثم انتشرت هذه الحروف من بلاد الشام إلى أنحاء العالم.

وقد وجد العلماء أن الغرض من أول أشكال التدوين التاريخي كان تخليد السابقين والتذكير بأعمالهم على مدار الزمن، فقد كانت البداية مع التدوين التاريخي رسوماً مقدسةً وسجلات بالأعمال ومسلاَّت تخلد الوقائع الكبرى.

ولقد كان إيداع تلك الوثائق في المعابد وقيام رجال الدين بمهمة التدوين دليلاً على أهمية الوقائع التي تتضمنها الوثائق.

كانت مسألة انحياز الكاتب أثناء عملية التدوين مسألة واضحة على مر التاريخ، وكمثال على تلك الذاتية تصور لنا إحدى المدونات السومرية الدمار الذي لحق بمدينة "أور" على يد العيلاميين بكلمات تفيض بالحزن والأسى حيث تقول المدونة:

(إيهٍ إينانا، إن تلك المدينة قد حولت إلى رميم، وتصدعت جدرانها والناس يئنون..

في أبوابها العالية التي كانوا فيها يتنزهون رميت جثث الموتى، وفي شوارعها المشجرة حيث كانت تنصب الولائم استلقوا متناثرين..

أور التي أكل الجوع أقويائها وضعفائها وكوت النيران الآباء والأمهات الذين لم يبرحوا منازلهم والأطفال المضطجعون في أحضان أمهاتهم كالأسماك حملتهم المياه بعيداً..

أواه يا إينانا لقد دمرت أور وشرد أهلها.).

وعلى الرغم من امتزاج التدوين التاريخي في العصور القديمة بالقصص والأساطير ، فإنه يمثل مادة حيوية لإعادة البناء التصوري للحضارات القديمة.

يعد التقويم اتجاهاً جديداً في التدوين التاريخي في العصور القديمة، حيث أصبحت الطريقة المتبعة في التقويم هي نسبة السنة إلى ابرز حدث وقع فيها من قبيل بناء معبد أو حصول واقعة حربية مهمة، وتطور مفهوم التقويم بفعل التطور الاقتصادي إلى نمط جديد ينطوي على رؤية مفهومة للسنوات والأشهر من أجل تلبية مصالح أطراف المعاملات الاقتصادية وبخاصة تلك التي تتعلق بإيفاء الديون والإيجارات واستيفاء فوائد القروض.

في الغرب:

اتخذ التدوين التاريخي عند الإغريق شكل الأسلوب الملحمي، ويذكر في هذا المجال الشاعر الملحمي "هوميروس"، الذي اخذ عنه المؤرخون تمجيد روح البطولة والكفاح الذي يدفع الإنسان إلى التفوق على من حوله، وكذلك يذكر المؤرخ "هيرودوتس ٤٨٤– ٤٢٥ ق.م" الذي عبر عن الاتجاه نفسه حين استهل تاريخه بالإشارة إلى إنه يدون التاريخ كي لا يطمس الزمان أعمال الرجال.

وفي التدوين التاريخي عندهم تُلاحظ الأبعاد العلمية في عملية التدوين في أعمال ثلاثة من المؤرخين أولهم هو "هيرودوتس" الذي يعد رائد أسلوب استقصاء الحقيقة التاريخية عن طريق التجوال والترحال، والثاني هو " توسيديدس" الذي يعد أول من فصل التاريخ عن القصة وكان دقيقاً في تحري صحة الوقائع وتواريخها وبلغ مستوىً رفيعاً في الحياد والإنصاف وتحليل الأسباب والنتائج، والثالث هو "بوليب" الذي يعد رائد استقراء خلفية الأحداث وربطها بمجريات الحدث ونتائجه.

وقد تميز التدوين التاريخي عند الإغريق بالميل نحو إخراج النتائج الناجمة عن عملية التدوين بطريقة فنية، كما كان الحال مع "هيرودوتس" حينما سجل الدساتير وصراع الأحزاب والمناورات الدبلوماسية، وكما كان الحال أيضاً مع "توسيديدس" الذي تميز أسلوبه عن أسلوب "هيرودوتس" بالوحدة الدرامية ابتغاء عرض الحركة التاريخية عرضاً محبباً.

أما الرومان فقد اهتموا بتسجيل الحوادث التاريخية وفق أسلوب الحوليات اعتماداً على السجلات الرسمية التي كانت تعنى بها المؤسسات الدينية. * ومن أهم مميزات التدوين التاريخي عند الرومان هو عدُّ الدولة هي محور التدوين التاريخي وهدفه النهائي، أما الشعب ومشاكله فلا وجود لها في تأريخ روما.

وقد تميز التدوين التاريخي عند الرومان أيضاً باعتماده على المؤثرات البلاغية، وقد أدى هذا الحال إلى ضعف الحقيقة التاريخية وإهمال الربط بين أسباب الأحداث ونتائجها، هذا ويعد "شيشرون" أعظم خطباء روما، وهذا يدل على اتجاه التدوين التاريخي وفقاً لتلك المؤثرات.

الأسبوع الثامن ١٩/ ١١/ ٢٠١٩

تطور التدوين التاريخي في العصور الوسطى:

تأثر التدوين التاريخي في العصور الوسطى بأفول نجم الثقافة الوثنية للإغريق والرومان بحلول القرن الخامس الميلادي، على حساب الثقافة المسيحية التي استقت من التوراة المادة الرئيسية للتاريخ الذي دونت له.

وعلى الرغم من ثراء الكتاب المقدس بالقصص والروايات والأخبار، إلا أن الحاجة إلى التفسير في عين الوقت الذي تزداد فيه الفجوات وتتسع بسبب التعقيد الاجتماعي الناجم عن التطور المستمر في شتى مجالات الحياة بدت ملحة بشكل متزايد، وفي مقابل ذلك برز العديد من الذين أخذوا على عاتقهم مهمة التدوين التاريخي الذي يتماشى مع السياق العام للنص المقدس، وفي طليعتهم كان القديس "أوغسطين ٣٥٤ – ٤٣٠ م".

وقد تميزت مرحلة القرون الوسطى بتدوين سير "القديسين الشهداء" فتناولوا فيها تفاصيل حياتهم ومعاناتهم ي سبيل العقيدة المسيحية وحل هذا الاهتمام محل تدوين سير العظماء الذي

كان سمة من سمات العصور الأوربية القديمة، وقد تبنت الكنيسة مهمة التدوين التاريخي للحياة اليومية لمجتمعات العصور الوسطى من خلال "اليوميات الكنسية" التي كانت من أبرز مظاهر التدوين التاريخي آنذاك. وسوف يجد المؤرخ لتلك الحقبة من التاريخ نفسه مضطراً إلى اللجوء إلى سجلات الكنيسة وتواريخ الأسر الإقطاعية – التي استعانت برجال الكنيسة من أجل تدوين تأريخها – لأن كل الوثائق التاريخية عن تلك المرحلة كانت بين يدي رجال الكنيسة.

وقد أدى ذلك الحال من تملك الكنيسة للوثائق وسيطرتها على عملية التدوين التاريخي إلى بروز التزييف كظاهرة لازمت عملية التدوين، وقد كان لاكتشاف زيف بعض الوثائق المهمة أبعاد خطيرة ليس على موقف الجهة التي احتفظت بها وإنما على تطور البحث التاريخي، ولعل وثيقة "هبة قسطنطين" التي اكتشف زيفها المؤرخ الإيطالي " لورينزو فالا" والتي منح الإمبراطور "قسطنطين ٣٠٥ – ٣٣٧م" بموجبها ملكية روما إلى "البابا"، والتي احتفظت بها لتعزيز سلطتها الزمنية، لعل تلك الوثيقة تكشف مدى التزييف الذي لحق بعملية التدوين التاريخي خلال فترة العصور الوسطى.

الأسبوع التاسع ٢٦/ ١١/ ٢٠١٩

تطور التدوين التاريخي في طلائع العصر الحديث والقرن الثامن عشر:

طلائع العصر الحديث:

حقق ميدان العلوم تطوراً كبيراً يعزى الفضل فيه إلى استخدام العلماء لمنهج "فرنسيس بيكون" التجريبي في معالجة قضايا العلم في حقوله المختلفة، ولقد كان من أبرز أولئك العلماء هو "غاليلو" و"كبلر" و"نيوتن"، والذين دفعت جهودهم علم الطبيعة خطىً واسعةً إلى الأمام.

وتحت ظِلال التطور العلمي وكنتيجة له برز الاتجاه العقلاني بدلاً من الاتجاه الغيبي في تفسير الظواهر المختلفة، وكان لذلك التحول صداه على الحقل التاريخي حيث ابتعد المؤرخون عن الخوارق والمعجزات في تفسير الحوادث، كما انحسر الاتجاه الديني الذي كان يهتم بسير القديسين ويؤكد على المواعظ المسيحية، وأعيد النظر في الوثائق والصكوك وقومت السير المقدسة على ضوء ذلك، ولقد سطع نجم المؤرخ "جان مابيلون" الذي عُدَّ أشهر مؤرخ وباحث في القرن ١٧.

وأصبحت "الدولة" والمؤرخ الذي أصبح أحد رجالاتها مركز الاهتمام في التدوين التاريخي، وبذلك أصبح لكل دولة مؤرخها الرسمي الأمر الذي ساعد على بلورة الوعي القومي في أوربا، فكان "كويجارديني ١٤٨٣ – ١٥٤٠ م" مؤلف "تأريخ إيطاليا" و "ميزوراي١٦١٠– ١٦٨٣م" مؤلف "تأريخ فرنسا" وكذلك "مكيافيللي ١٤٩٦– ١٥٢٧م"، وكانت من نتائج هذا الميل في كتابة التاريخ هو الاهتمام بمصالح الأمراء والأسر الحاكمة، الأمر الذي أدى إلى إهمال الجماهير واحتقارها أحياناً.

وقد كان للثورة الدينية وما تبعها من حروب طاحنة، أثر بارز على التدوين التاريخي، فبعد تعرض مكتبات الكنائس والأديرة والجامعات إلى السلب والنهب، وقع قسم كبير من الكتب بين أيدي الباحثين، فقاموا بتصنيفها وتحقيقها وإعادة نشرها، وبرز أسماء كثير من أولئك الباحثين ومنهم "جان بودين"، و"داشيري". ولعل من أهم النتائج التي أسفرت عنها جهود أولئك الباحثين والوثائقيين هي إنشاء دور الوثائق ووضع الأسس لطرق البحث التاريخي وتقويم العلاقة بين أحداث التاريخ وبيئة تلك الأحداث.

القرن الثامن عشر:

استمر تأثير التقدم العلمي الذي كان سائراً على أضواء المنهج الكارتيزي في فترة عصر الأنوار، فعُدَّ المجتمع من الدولة إلى أبسط عائلة أكداساً بشرية تتصرف وتجتمع وتنتظم ميكانيكياً، وأول من استخدم منهج "ديكارت" في التاريخ هو "بيير بل ١٦٤٧ – ١٧٦٠".

وقد انعكست الاتجاهات العلمية على الدراسات التاريخية في النقاط التالية:

١– النزعة النقدية التي سادت عصر التنوير كرد فعل لسلطة الدين، وقد اتخذ التيار النقدي طابعا عنيفا إلى حد محاولة إخضاع الوقائع التاريخية المذكورة في الكتاب المقدس للنقد التاريخي.

٢– النزعة الإنسانية التي تعلي من قدر الإنسان بعد أن تحرر من سلطة الدين التي تغض من شأنه وتعده وارثا للخطيئة الأصلية. فقد أصبحت أفعال الإنسان موضوع التاريخ بصرف النظر عن التقييم الديني لهذه الأفعال، كما استبعدت أية قوة غيبية في تحديد مسار التاريخ.

وقد أثر في عملية التدوين التاريخي مجموعة كبيرة من المفكرين والفلاسفة ومن أشهرهم:

١- "مونتسكيو ١٦٨٩ – ١٧٥٥": حاول وضع علم للمجتمع مبني على الاستنتاجات من الحقائق المجتمعة ضمن جهوده لتفسير أصل وتطور المؤسسات السياسية حيث كان لا بد من الرجوع إلى التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

٢- "فولتير ١٦٩٤ – ١٧٧٨": كان يرى في التاريخ وعاء يضم للإنسان فكرة التقدم، وكان معارضاً شديداً للكنيسة فيما يخص التصور اللاهوتي للتاريخ، فقد كان التاريخ علماً علمانياً خالصاً بدون تدخل القوى الإلهية فيه، فهو – بالنسبة لفولتير – من صنع أناسٍ عاديين تحركهم دوافع إنسانية خالصة، ومن خلال استقراءه للتاريخ استنبط "فولتير" نتيجةً استوحاها من العلاقات الجدلية التي تربط مراحل التاريخ والتي تفرضها نواميس الطبيعة، وكان مؤداها أن كل حدثٍ في الحاضر يولد من الماضي ويولِّد المستقبل. وأن الترابط السرمدي للأشياء غير قابل للانقطاع أو للتغيير وأن الطبيعة برمتها خاضعة لنواميس لا عودة عنها.

٣- "ديفيد هيوم ١٧١١ – ١٧٧٦": تمسك بالرأي ألاستنتاجي العملي للتاريخ وازدرى سرد الحقائق المجردة المملة، وكافح التعصب الأعمى والخرافات والاستبداد بالرأي وأدان التفسير اللاهوتي للتاريخ وأكد على العوامل الأخلاقية وعدَّ التقدم الحضاري هو معنى التقدم.

٤- "لايبنتز": كان تأثير الروح العلمية على التدوين التاريخي واضحاً من خلال دعوته إلى فصل المؤرخ عن تفسير الحوادث، ومن خلال الدعوة إلى ضرورة دراسة نفسية المؤرخ، وقد كان "لايبنتز" يرى أن هناك ثمة ذرة من الصدق حتى في الأساطير ومن الواجب العثور على تلك الذرة. وبالإضافة إلى "لايبنتز" فقد لمع اسم "كونهولد ليسينك" بوصفه رائداً لكتابة التاريخ الحديث لألمانيا.

٥- "عمانوئيل كانط": يعد من الدعامات الفكرية التي ساهمت في تشكيل الفكر الأوربي الحديث عموماً والفكر الألماني خصوصاً، وتأثر به من قد جاء بعده كـ "هيجل" و "رانكه"، وعنده لم يكن الماضي هو الذي يقرر موقفنا من الحاضر بقدر ما يقرر الحاضر موقفنا تجاه الماضي، حيث أن تصورنا تجاه الماضي يتغير باستمرار متوقفا على المستوى الروحي للثقافة الحاضرة.

لقد تميز الفكر الألماني في عصر التنوير بالتأكيد على الوجدان وصيرورة القيم الخالدة، فيما تميز التنوير الفرنسي بالاعتماد على العقلانية ومذهب المنفعة وبشر بالإلحاد.

الأسبوع العاشر ٣/١٢/ ٢٠١٩

مساهمات العرب في تطور التدوين التاريخي والعوامل المؤثرة على التدوين التاريخي:

قبل الإسلام:

تتبين مساهمات العرب والمسلمين على صعيد التدوين التاريخي من خلال ما قدموه من معالجات موضوعية لمفهوم التاريخ وتفسير صيرورته وتطوراته. وقد رفد التدوين العربي للتاريخ عملية التدوين التاريخي عموماً بالعديد من الوسائل والطرق للكشف عن الماضي ومعالجته والوصول من خلال الوثائق الدالة عليه إلى النتائج التي تحاول أن تحوز على أعلى قدر من الدقة والصدق.

وقد كانت أولى صور تلك الوسائل التي اعتمدها العرب في تدوين تاريخهم هي المشافهة، فعلى الرغم من ثراء المناطق العربية بضرب من التاريخ المأثور بالكتابة، بحكم كون أغلب تلك المناطق قد شكلت مراكز للحضارة، إلا أن ما وصل إلى أيدي المؤرخين من نقوش وآثار لا يتناسب مع المستوى الذي من المفترض أن تكون عليه تلك المناطق، ويزداد عدم التناسب هذا كلما كان الاتجاه نحو الشمال، بسبب الاعتماد بشكل كلي على التاريخ المروي دون التاريخ المدوَّن.

وكانت أغلب تلك الروايات تدور حول "**أيام العرب**" وحروبهم قبل الإسلام وأنسابهم وأخبار بعض القبائل البائدة مثل "عاد" وثمود" وغيرها. وقد استمر تداول قصص "أيام العرب" وأخبار الأمم المجاورة "**شفاهاً**" حتى العصر الأموي، حين ظهرت أولى كتب التدوين لتاريخ تلك الحقبة على يد "عبيد بن شريه ت ٧٠ هـ" والذي ألف لمعاوية ابن أبي سفيان (رضي الله تعالى عنه) كتاب "الملوك وأخبار الماضين".

وقد كان الشعر من أبرز الفنون التي عرفها العرب واستعملوها للدلالة على تاريخهم العريق، فعلى الرغم من معرفة العرب بالكتابة منذ عهود طويلة، إلا أن ندرة التدوين عندهم هي التي تغلب على عملية صناعة التاريخ، وذلك يعود إلى أن العقلية العربية كانت أقدر على قرض الشعر منها على معالجة كتابة التاريخ، وقد وصف الشعر بأنه "ديوان العرب"، وفيه تحفظ وقائعهم وأحوالهم وعاداتهم وتقاليدهم وخصالهم.

وعلى الرغم من طابع المغالاة والخيال التي تميز القصيدة العربية إلا أن الوقائع التي تتضمنها القصيدة تكون على جانب كبير من الحقيقة والصواب.

ومما ميز التدوين العربي للتاريخ، هو الاعتماد على كتابة "**الأنساب**"، إذ يعد هذا الحقل من السمات المميزة للطابع العربي في التدوين التاريخي ويكاد العرب يتميزون به عما سواهم مما جاورهم من الأمم، إذ تعد رواية "الأنساب" وحفظها من المآثر المهمة للتاريخ القبلي عند العرب، وذلك لأن الاحتفاظ بشجرات الأنساب يعد من الاعتبارات الاجتماعية المهمة قبل الإسلام، ثم عاد الاهتمام بها بعد الإسلام لاعتبارات سياسية فرضت في العهدين الأموي والعباسي، وكان أبرز كتاب الأنساب هو "محمد بن السائب الكلبي ت ١٤٦ هـ" وكذلك أبنه "هشام".

بعد الإسلام:

لقد ظهر "الاتجاه العلمي" في التدوين التاريخي عند العرب منذ أن ظهرت الحاجة إلى تدوين سيرة الرسول الكريم محمد "صلى الله تعالى عليه وسلم" و"مغازيه". وتعد المدينة المنورة الموطن الأول لمثل هذا التدوين. وبينما تبحث "المغازي" عن الغزوات والحروب التي اشترك فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله تعالى عنهم، وتبحث كذلك في مناقب المجاهدين، فإن السيرة تبحث في شخصية الرسول "عليه الصلاة والسلام" وأقواله وأفعاله، ويعود السبب في الاهتمام بها إلى تأكيد القرآن الكريم على أن أقوال النبي "صلى الله تعالى عليه وسلم" موحى بها من الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى}، وكذلك فإن سيرته "عليه الصلاة والسلام" هي مثل للمسلمين يعتدون به ويعتمدون عليه في التشريع والتنظيم.

وقد توسعت دراسة "المغازي" فيما بعد، فأصبحت تشمل الوقائع والحروب التي خاضها العرب بعد وفاة الرسول "عليه الصلاة والسلام"، ضد الأمم الأخرى في سبيل نشر الإسلام، وكذلك

الوقائع والحروب التي وقعت بين المسلمين أنفسهم. وتجدر الإشارة بالبنان إلى "أبان بن عثمان ت ١٠٥هـ" بصفته أول من ألف في "المغازي"، إلا أنه لم يكن لديه منهج معين في التأليف، وقد وضع أول منهج في كتابة "المغازي" على يد "محمد بن عمر الواقدي ت ٢٠٧هـ"، كما ويعد كتاب "السيرة" لـ "ابن اسحق" مظهراً لتطور التدوين التاريخي عند العرب، وقد تميز كاتب هذه السيرة عن غيره في أن كتابه كان يمثل تأريخا للنبوة وبالتالي فهو أول من حاول تدوين تاريخ الرسول الكريم "عليه الصلاة والسلام" في إطار نظرة شاملة لتاريخ الرسل وتاريخ الإنسانية. وكذلك توسعت دراسة "السير" وتطورت إلى دراسة "التراجم" و "الطبقات". وتعد معاجم "التراجم" دليلاً آخر على التطور المستمر للتدوين التاريخي، ويشار إلى كتاب "الطبقات الكبرى" لمؤلفه "محمد بن سعد ت ٢٣٠هـ" بوصفه أول كتاب يعبر عن هذا التطور في تدوين التاريخ، ويحتوي الكتاب على تراجم الصحابة والتابعين والخلفاء "رضي الله تعالى عنهم" إلى زمن المؤلف. وقد وصف أدب "التراجم" بأنه من أغنى الفنون التاريخية لدى العرب وهو في تراثه وتنوعه يعكس رغبة المجتمع في التعرف على تفاصيل الحياة العامة والخاصة للمعنيين بتلك التراجم.

العوامل المؤثرة على التدوين التاريخي الإسلامي:

لقد كان لعامل التطور السياسي والتوسع العمراني أثر بارز وواضح على مسيرة عملية التدوين التاريخي، وذلك من خلال الانتقال الملحوظ من التدوين التاريخي العام إلى نطاق أضيق ينحصر في التدوين التاريخي لإقليم من الأقاليم أو بلد من البلدان، ومن ألمع الأمثلة على ذلك التحول هو كتاب "تاريخ مصر وفتوح المغرب" الذي ألفه "عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم ت ٢٥٧هـ"، وكتاب "الإكليل" لـ "الهمداني ت ٣٣٤ هـ"، والملاحظ على ذلك النوع من التدوين هو اعتماد المؤرخين على الوثائق الرسمية والروايات التي يزودهم بها ذوي النفوذ والسلطان في البلاد كالعمال في الأقاليم ورؤساء الديوان وغيرهم.

وثمة انعكاس آخر للتوسع السياسي والعمراني والحضاري، أدى إلى الزيادة في التخصص في عمليات التدوين التاريخي، وتجلى في التدوين لشريحة معينة من المجتمع وتأريخ طبقة معينة من طبقات الأمة مثل كتاب "تاريخ الوزراء" لـ "محمد بن عبدوس الجهشياري ت ٣٣١هـ"، وكتاب "قضاة مصر" لـ" محمد بن يوسف الكندي ت٣٥٠ هـ".

الأسبوع الحادي عشر ١٠/ ١٢/ ٢٠١٩

مدارس التدوين التاريخي الإسلامية:

استخلص الباحثون والمؤرخون في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية مدارس عديدة في التدوين التاريخي عند العرب، وقد عدت كل من هذه المدارس مظهراً يعبر عن خصوصية في التدوين بفعل تأثير العوامل الاجتماعية والسياسية والفكرية على البيئة المحيطة بكل منها. وقد قسمت تلك المدارس إلى مدارس صغرى ومدارس كبرى، وعرفت المدارس الصغرى بمدارس الشام واليمن وفارس، بينما مثلت مدرستا المدينة والعراق المدارس الكبرى.

أ- المدارس الصغرى:

- **مدرسة الشام:**

ساعدت ظروف جاذبية الشام كعاصمة سياسية للدولة من جهة ورغبة البيت الأموي في الثقافة التاريخية من جهة أخرى على استقطاب عدد من العلماء والإخباريين، الأمر الذي أدى إلى ولادة هذه المدرسة. وقد ساعد على تعزيز هذه المدرسة وزيادة أهميتها وجود الرواة ومنهم بعض الصحابة مثل "أبي أمامة الباهلي" و"عبادة بن الصامت"، وكذلك الرواة التابعين ومنهم "أبو عثمان الصنعاني" و"شرحبيل بن مرئد". ويعد "عبيد بن شريه الحضرمي" و "عروة بن الزبير بن العوام" النواة العلمية لهذه المدرسة.

- **مدرسة اليمن:**

كان للتنافس القديم بين عرب الشمال وعرب الجنوب، والرغبة في إثبات الوجود اليمني بجانب الوجود القيسي الشمالي في العهد الأموي، دور بارز في ولادة هذه المدرسة.

وكان المنهج القصصي والأسطوري هو الصفة الغالبة على اتجاه هذه المدرسة في التدوين، وكان لمؤسسها "كعب الأحبار" دور بارز في دخول الخيال كعامل رئيسي في التدوين التاريخي على حساب النصوص المدونة، فكانت النتيجة تدوين روايات تاريخية منسوجة على غرار "أيام العرب"، وكذلك نحلت أنساب وفتوحات لا ظل لها في الواقع. و يرى المؤرخون أن الانشغال بالفتوحات في الشام ومصر والعراق وخراسان، ونزوح الكثير من أهل اليمن عن بلادهم، وعزلة

اليمن وقلة الاهتمام بها هي التي أدت إلى وصول عملية التدوين التاريخي إلى المستوى الذي كانت عليه، والذي لم يضطلع أحد من المؤرخين بمهمة تصحيحه إلا "الهمذاني".

ومن أهم من مثل هذه المدرسة هم "كعب الأحبار" و "ابن مفرع الحميري".

- مدرسة فارس:

لعل إثبات الوجود القومي والعلمي للفرس قد شكل الدافع الرئيسي لهذه المدرسة، وذلك من خلال كتابة التاريخ الفارسي باللغة العربية.

وبسبب مجاورة بلاد فارس للعراق الذي كان مركزاً للحضارة، والذي اتخذته هذه المدرسة مركزاً لها، وبسبب كون العراق مركزاً للخلافة والحكم لعهود طويلة، يعتقد أن الشعوبية كانت المحرك الذي تسير بموجبه عجلة هذه المدرسة، ولذلك قدمت هذه المدرسة صورة لتاريخ الفرس رسمت بألوان زاهية تتوافق مع اتجاهها الشعوبي. ومن أبرز من مثل هذه المدرسة "أبو سليمان يونس الكاتب" و "عبد الله ابن المقفع" و "الهيثم ابن عدي" وغيرهم.

ب- المدارس الكبرى:

- مدرسة المدينة:

كان للمدينة المنورة أهميتها الخاصة لكونها عاصمة الرسول "صلى الله عليه وسلم" والخلفاء الراشدين "رضي الله عنهم"، كما كانت مركزاً لتجمع الصحابة "رضي الله تعالى عنهم".

وبالنظر لاهتمام المدرسة بالسيرة والمغازي، فقد خضع منهج التدوين التاريخي فيها إلى منهج علم الحديث، حيث عدت سلسلة الإسناد ضرورية للتثبت من صدق الحقيقة التاريخية. كما اهتمت هذه المدرسة بالتقويم الذي يعني ذكر تاريخ وقوع الحوادث بصورة دقيقة بحكم التصاق أصحاب هذه المدرسة بالأحداث ومصاحبة الكثير منهم للرسول "عليه الصلاة والسلام".

ويعد "عبد الله بن العباس ت ٧٨هـ" مؤسس المدرسة العلمية لمختلف فروع العلم في المدينة المنورة، لسعة معرفته بأخبار الماضين وبالأنساب والشعر واللغة والتفسير والفقه والحساب والفرائض.

وتعاقب على هذه المدرسة جيلان من رواة المادة التاريخية، وأشهر رواة الجيل الأول هم "سعيد بن المسيب" و "أبان بن عثمان" و "عروة بن الزبير بن العوام" ومن التابعين كان "شرحبيل بن سعد" و "عبد الله بن كعب". أما أشهر رواة الجيل الثاني فكان "عبد الله بن أبي بكر ابن حزم ت ١٣٠هـ".

- **مدرسة العراق:**

تأسس على خلفية تحرير العراق من السيطرة الفارسية وإنشاء الأمصار التي كالكوفة والبصرة وحروب التحرير والفتوح وهجرة العرب إليه، تيار ثقافي إسلامي حل محل التيارات القديمة.

ولقد اهتمت حركة التدوين التاريخي في مدرسة العراق في بداياتها الأولى بأخبار العرب وأيامهم وأنسابهم. ثم ظهر الاهتمام بالتاريخ الإسلامي في العصر الأموي نتيجة الصراعات التي كانت تدور حول الحكم في تلك الفترة، ثم تأثرت عملية التدوين التاريخي بالتيار الشعوبي الذي برز في العصر العباسي، حيث نجد أن الكثير من علماء هذه المدرسة كان يصنف بصفته الفارسية والعراقية في آنٍ معاً.

ومن أبرز السمات المميزة للمدرسة العراقية هو الانتقال من الاهتمام بتاريخ القبيلة إلى الاهتمام بمجموع القبائل وهذا بالنسبة للنسابين وبهذا تكون المدرسة العراقية في مجال الأنساب مضاهية لمدرسة المدينة في الطبقات، كما تجاوز اهتمام الإخباريين القبيلة نحو الاهتمام بالأمة. وكذلك تميزت المدرسة العراقية بتوفر المرونة الكافية لدى علمائها للحصول على روايات ذات مصادر متنوعة وذلك نظراً لاحتلال العراق مركزاً جغرافياً مهماً ووقوعه في وسط الدولة الأموية. وكذلك تميز رجال هذه المدرسة باستخدام الوثائق كالعهود والرسائل الرسمية التي تم حفظها في دواوين الدولة في مختلف أمصارها. وقد تميز التدوين التاريخي أيضاً بالاعتماد على الشعر بسبب قوة النزعة القبلية في تلك الفترة.

ومن أبرز رواة المدرسة العراقية "أبو عمر بن شراحيل الشعبي" و "يونس المغني"، أما أبرز الإخباريين فكان "أبو مخنف لوط بن يحيى" و "عوانة ابن الحكم"، أما أبرز النسابين فكان " محمد بن السائب الكلبي".

الأسبوع الحادي عشر ١٧/ ١٢/ ٢٠١٩

أهم الاتجاهات في تفسير التاريخ:

أولاً: التفسير الخرافي والأسطوري للتاريخ:

التفسير الخرافي:

لقد جاء اصطلاح الخرافة اشتقاقاً بمعنى "الحديث الباطل مطلقاً"، والخرافة من خرُفَ خرفاً أي فسد عقله. وتنحدر مفردة "خرافة" حسب الروايات من رجل من قبيلة "عذرة" كان يدعى "خرافة"، يُروى أن الجن قد أخذوه عندهم زمناً ثم أعادوه إلى بيئته البشرية الطبيعية، فكان يروي لأبناء قبيلته ما قد شاهده من عوالم الجن وطبيعتهم، فجرى القول بناءاً على تلك الرواية وصفاً لها بما كان يعرف بـ "حديث خرافة".

وتعد الخرافة حقلاً مهماً بالنسبة لدارسي التاريخ البشري ومصدراً مهماً للتعرف على طبيعة سلوك الكثير من المجتمعات البشرية التي أثرت الخرافة في مجريات حياتها، ولا زالت تؤثر إلى يومنا هذا في عدة مجتمعات لا زالت تعيش وتؤمن بوجود الخرافات، حيث يُلاحظ المتتبع للتراث العربي وجود العديد من "الحكايات الخرافية" التي تتضمن الكثير من الإيماءات الأخلاقية كمحاربة الشر ونصرة الخير والوقوف ضد الظلم والطغيان كقصة "عنترة" و "السيرة الهلالية".

ومن أبرز ما يميز الخرافة هو كونها تعتمد على علاقات غير سببية وغير منطقية تربط بين أقطاب الحياة الاجتماعية التي يكون الإنسان واحداً من أهم شخوصها.

التفسير الأسطوري:

اختلف الفلاسفة والمؤرخون كثيراً في تعريف الأسطورة، وذهبوا مذاهب شتى، فقد عرفها اليونان بأنها تدل على القصة المتواترة أو الحكاية التقليدية عن الآلهة أو الأبطال، وقد أطلقوا عليها لفظة myth "ميثوس" لتدل عليها، ومنها اشتقت كلمة mythology "ميثولوجيا" لكي تدل على "علم الأساطير". وفي اللغة العربية جاءت مفردة الأسطورة لتدل على الأحاديث العجيبة التي لا نظام لها والأقاويل المزخرفة.

ولم يقتصر الاختلاف حول اللفظ فقط ولكن المؤرخين والمفسرين قد اختلفوا أيضا حول الاصطلاح، فقد ذهبت الكثير من الآراء إلى القول بأن الأسطورة هي رواية عن الآلهة أو الكائنات أو القوى الغيبية، تم تداولها من قبل المجتمعات على اختلاف حجمها، وقد حاولت تلك المجتمعات من خلالها تفسير نشأة الإنسان وموته وعلاقة الإنسان بالعالم المحيط به، كما صنفها آخرون على أنها "تأريخ أولي" أو تجسيد لأخيلة لا واعية حاولت أن تجد أصلا للتاريخ.

ومن أبرز ما تميزت به الأسطورة:

١-كانت تمثل معتقداً يعتنقه المجتمع المتعاطي لها، وهذا على العكس من الخرافة التي لم تكن تشكل معتقدا للناس الذين كانت تتداول فيما بينهم.
٢-لقد كان الآلهة والأبطال هم اللاعبون الأبرز في أغلب الأساطير.
٣-لم يكن للأساطير زمن تدور فيه أحداثها لكون الزمن فيها هو زمن أزلي.

وتكمن أهمية الأسطورة في رمزيتها التي كانت من أبرز الدوال على الوعي البشري، حيث مثلت الرموز التي كانت تعج بها الأساطير طرقاً مختلفة سلكها المؤرخون وفلاسفة التاريخ للوصول إلى فهم أنماط الوعي البشري الجمعي، وقد كان من بين أبرز من عالج موضوعة الرمز في الأسطورة بعين الملاحظة الفيلسوف "كلود ليفي شتراوس" الذي ينتمي للمدرسة "البنيوية".

ويتفاوت الاهتمام بالأسطورة تبعا لتنوع المدارس التي كان للتطور العلمي الدور البارز في بلورة أفكارها، ففي مطلع العصور الحديثة أدى التطور العلمي إلى ازدراء الأسطورة لتنافيها مع التفكير العلمي الجديد، وكذلك كان حالها في عصر الأنوار، حيث عدَّت من قبيل الإدراك البدائي الخاطئ، كما عدَّت من أمراض اللغة كما ذهب إلى ذلك وغيره "ماكس مولر" و "هربرت سبنسر"؛ في حين شكلت عند أصحاب المدرسة "الرومانتيكية" أصلا للفن والدين والتاريخ. وعلى الرغم من هذا فقد تبلور الاهتمام بالأسطورة بشكله النهائي على شكل فرع من فروع المعرفة سمي بـ"علم الأساطير" أو "الميثولوجي"، وقد اهتم بتعريف الأسطورة ودراسة بواعث نشوئها وتفسيرها ووظائفها اللغوية والنفسية والفكرية والاجتماعية والفنية، ومنذ نهاية القرن التاسع عشر ظهرت مدارس كثيرة استهدفت تقديم نظريات شاملة في تفسير الأسطورة، منها ما قد ذهب أصحابها إلى تعليل نشوء الأسطورة بسبب الطبيعة وما يتصل بها من ظواهر، كالشمس والقمر والنجوم والرياح والبراكين وغيرها، والتي أدت إلى صياغة وعي الإنسان وفقا لتأثيراتها عليه وعلى مجريات حياته،

وهذا ما يلاحظ من عبادة الحيوانات والتي تعرف بـ"العبادة الطوطمية"، وكذلك ما يلاحظ من خلال الرسوم الكثيرة التي كانت تعج بها المعابد، وكذلك ما يلاحظ في الملاحم والأساطير القديمة الكبرى كـ "ملحمة كلكامش" واسطورة الخلق والتكوين والطوفان، ويعد هذا الضرب من التدوين التاريخي شبيه التاريخ الذي لا يسجل ما حدث فعلاً بل ما أحسه الناس واحبه او اعتقدوا في اوقات مختلفة بانه قد حدث.

لقد كانت الممارسات الأسطورية عبارة عن طقوس تتم عبرها عملية التعامل مع الظواهر الطبيعة لتشكل بداياتٍ أولى للعلم الطبيعي اتخذت من الآلهة أو من الأبطال أو من القوى الخفية أسباباً تعلل آلية عمل تلك الظواهر، وقد احتكر الكهنة مهمة التعامل مع الظواهر الطبيعية ولعبوا دور "الشفيع" أو "الوسيط" الذي يمكنه قراءة مستقبل الظاهرة ومن ثم آلية التعامل معها والتقرب إلى الأسباب الموجدة لها.

الأسبوع الثاني عشر ٢٤/ ١٢/ ٢٠١٩

التفسير الديني للتاريخ:

أ- تفسير التاريخ من وجهة نظر المعتقدات الوثنية:

ب- تفسير الديانات السماوية الكبرى للتاريخ:

لعل الاطلاع على الملامح العامة التي تميز المعتقدات الوثنية، يجعل من السهل معرفة نظرة تلك المعتقدات إلى التاريخ وإلى طبيعة صيرورته وحركته، ومن أبرز تلك الملامح هي:

١- تعدد الآلهة.

٢- تبلور التصورات المختلفة لمرحلة ما بعد الموت أو فكرة "الخلود"، وإقامة الطقوس والعبادات للتأهب لتلك المرحلة، كما يلاحظ في بناء الأهرامات عند سكان وادي النيل، وإقامة الطقوس الخاصة بموت الإله "تموز" عند سكان وادي الرافدين.

٣- النزوع نحو إقامة بناء أخلاقي عند أغلب المعتقدات، كما هو الحال عند "التاوية" و "الكونفوشيوسية" في الصين، و"البراهماتية" و "البوذية" في الهند، و"الزرادشتية" في بلاد فارس. فقد كان التاريخ وصيرورته خاضعاً لجملة اعتبارات أخلاقية وجملة وصايا قد أملتها القوى الروحية على من ادعوا الإلوهية، ومن اتخذوا مقام الوسيط، وكان من أبرز تلك الاعتبارات هو

التحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الرذائل والانسلاخ من ربقة حب التملك وتجنب مسببات الألم.

الأسبوع الثالث عشر ٣١/ ١٢/ ٢٠١٩

التفسير اليهودي للتاريخ:

يتميز التفسير اليهودي للتاريخ بعدة مميزات شكلت الخطوط العريضة التي تبين أهم معالم ذلك التفسير، ومن أبرز تلك المميزات هي:

أ- الغموض الذي اكتنف هذا التفسير، وهذا الغموض يعود سببه إلى الاختلاف بين اليهود أنفسهم حول التوراة التي هي مصدر الديانة اليهودية، وكذلك الاختلاف بين اليهود والمسيحيين من جهة أخرى حول "الأسفار" التي تضمنتها التوراة، وإجماع المؤرخين على الرأي بأن التوراة هي ليست "وحدة تأليفية" بل هي على العكس من ذلك، فهي في نظرهم "تجميع" قام به أفراد متعددون في أوقات مختلفة.

ب- النظرة الحتمية إلى صيرورة التاريخ، وهذه الحتمية متأتية من نفاذ الإرادة الإلهية في سلوك البشر، وليس في وسعهم الخروج عن تلك الإرادة.

ت- القول بنهاية التاريخ الذي تدعمه النظرة الحتمية إلى صيرورة التاريخ، والتي تخبر التوراة بضرورة انتظار "المخلِّص" أو "المسيح المنتظر" والذي لا بد كم ظهوره ليكون سبباً في تخليص "الشعب المختار" من "مظلوميته" وحزنه وتشاؤمه.

م/ توجب التوسع في هذه المادة شريطة أن يكون ملزما للطالب.

التفسير المسيحي للتاريخ:

تتمحور العقيدة المسيحية حول أربعة نقاط أساسية وهي:

أ-التأكيد على فكرة الخطيئة التي تمثلت في "سقطة آدم" واستمرارها في التاريخ.

ب-التجسد، وهو اعتقاد ساد الديانة المسيحية يذهب إلى أن الله تعالى قد حل "سبحانه" في التاريخ بصورة بشرية، وقد كان هذا الحلول ضروريا لتخليص البشر بعد تلوثه بالخطيئة، والصورة التي تجسد بها "الإله" " – سبحان الله وتعالى – هي صورة السيد المسيح "عيله السلام".

ت-فكرة الصلب أو الفداء، وهي تعبير عن تكفير السيد المسيح "عليه السلام" عن جميع أخطاء البشر بعدما توفي على الصليب.

ث–فكرة القيامة، وتعني قيامة السيد المسيح "عليه السلام" بعد صلبه، ومن ثم صعوده إلى السماء تأكيداً على خلوده.

وتتعامل الديانة المسيحية مع مفهوم التاريخ من خلال مفهومي "المؤقت" و "الأبدي"، فمن خلال الانتقال من الأول إلى الثاني تدور عجلة التاريخ ويأخذ التاريخ بعده الذي بلورته الديانة المسيحية، وهذا الانتقال لن يتم بغير الإيمان بحضور تعاليم المسيح "عليه السلام" على الصعيد المؤقت، وحضور السيد المسيح" عليه السلام" وعودته استعدادا ليوم الحساب وافتتاح مملكة السماء على الصعيد الأبدي، والمساحة الفاصلة بين "المؤقت" وبين "الأبدي" في العقيدة المسيحية لا ترتكز على الفرار المطلق من التاريخ واعتزال مسرح عملياته، ففي الديانة المسيحية العديد من التعاليم الداعية إلى العمل ونبذ العنف والتسامح والتحلي بالأخلاق.

م/ توجب التوسع في هذه المادة شريطة أن يكون ملزما للطالب.

الأسبوع الخامس عشر ٧/ ١/ ٢٠٢٠

التفسير الإسلامي للتاريخ:

يستند التاريخ البشري من المنظور الإسلامي إلى مقررات ربانية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتطبيقات بشرية قائمة على مدى فهم أصحاب هذا التفسير لهذه المقررات، وكيفية توظيفها في منظومة منهجية تصلح لقراءة التاريخ البشري، وتحليل وقائعه. ومن خلال هذا يتبين أن الوقوف على مفهوم "السننية" في التاريخ هو خير السبل للوصول إلى الكيفية التي تعامل بها الدين الإسلامي مع التاريخ. فالعالم بكل ما فيه ومن فيه من نبات وجماد وحيوان وإنسان وأجرام سماوية، وما يصدر عن هذه الموجودات وما يتعلق بها ويحل فيها، وما يقع من حوادث كونية كنزول المطر وهبوب الريح وثوران البراكين وتعاقب الليل والنهار، وما يحصل للإنسان من أطوار خلقه وتكوينه في بطن أمه وما يحدث له وللأمة من شقاء وسعادة ورفعة وسقوط وعلو وانحطاط وقوة وضعف وبقاء وفناء ونحو ذلك؛ كل ذلك الذي ذكرنا وجوده وحدوثه في العالم لا يقع صدفة وما هو بخبط عشواء وإنما يقع ويحدث وفق قانون عام دقيق ثابت صارم لا يخرج عن أحكامه شيء.

السنة في اللغة:

تعني السيرة، حسنة كانت أو قبيحة، كما جاء في لسان العرب لابن منظور. وفي النهاية لابن الأثير. والأصل في هذا اللفظ . السنّة، الطريقة والسيرة.

وقال الفيروز آبادي في معنى السنة: والأصل فيها الطريقة والسيرة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سنّ سنة حسنة) أي طرق طريقة حسنة، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم طريقته التي كان يتحرّاها. والتعريف المختار لسنة الله: هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة وهذا يعني أن معنى السنة هو معنى "القانون العام" من حيث خضوع أفعال البشر وسلوكهم إلى أحكام هذه السنة التي يمكن تسميتها بالقانون العام.

سمات السنن الإلهية:

– **الثبات:** ما دامت سنة الله هي القانون العام الذي يحكم أفعال البشر وسلوكهم فإنها **تتسم بالثبات** والاطراد والعموم، وهذا هو شأن القاعدة القانونية. فهي ثابتة لا تتغير، قال تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)، وقال تعالى: (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً).

– **الإطراد: فهي مطردة** لا تتخلف، ويدل على اطرادها أن الله تعالى قصّ علينا قصص الأمم السابقة وما حلّ بها لنتعظ ونعتبر ولا نفعل فعلهم لئلا يصيبنا ما أصابهم، ولولا اطرادها لما أمكن الاتعاظ والاعتبار بها. فمن هذه الآيات قوله تعالى: (فاعبروا يا أولي الأبصار)، إلى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب وتعتمدوا على غيره عزّ وجلّ بل توكلوا عليه. وكذلك قوله تعالى : (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ {١٣٧} هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ).

– **العموم:** أي أنها عامة يسري حكمها على الجميع دون محاباة ولا تمييز، قال تعالى: (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ)، (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ). أي ليس كفاركم خيراً من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم. وقال تعالى : (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ)، والمعنى أن كل من يعمل سوءاً يلق جزاءه ؛ لأن الجزاء بحسب سنّة الله تعالى أثر طبيعي للعمل لا يتخلف عنه. فسنّة الله تعالى ثابتة ومطردة وعامة غير مقتصرة على فرد دون فرد ولا على قوم دون قوم . ولولا ثباتها واطرادها وعمومها لما كان معنى في ذكر قصص وأخبار الأمم السابقة وطلب الاعتبار بما حل هم، ولكن لما كان ما جرى لهم وعليهم يجري على غيرهم إذا فعلوا فعلهم.

انواع السنن الإلهية:

سنّة التدافع:

من سنن الإلهية في الكون والتي يخبرنا عنها الله في قوله بالقرآن) : { وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ } (البقرة:٢٥١)، والمُراد بالآية هو أنّ الله لا يترك أبداً الناس على نفس حالهم، ولا يترك الدنيا كما هي بل يدفع الله الأحوال ببعضها، ويدفع الناس بعضهم بالبعض، كذلك يدفع الكفار بالمؤمنين، وتجد الله يدفع الباطل بالحق، وبذلك يظلّ الصراع قائم ومستمر بين الحقّ والباطل، سنة الله في التدافع تقتضي التغيير المستمر بمشيئة الله.

سنة الإصلاح:

فمن سنن الله أنه لا يُهلك القوم إذا كان بينهم مصلحون، فمن أجل الإصلاح بعث الله الرُسل والأنبياء، وذكر لنا الله في القرآن عن رسول الله شعيب قوله لقومه) :مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ] (هود:٨٨.[

فالرّسل كان دورهم الإصلاح وأول شئ إصلاح الشرك بالله وهو المنكر الأكبر، ثمّ يتدرجّون إلى باقي منكرات أُمتهم المنتشرة، وتشمل الإصلاحات في جميع جوانب حياة الأمة كالجوانب الاقتصادية فيمنعون الغش، وفي الجوانب الاجتماعية وباستمرار تحفظ الأمم بوجود المصلحين فيهم فإن سنّة الله تقتضي بأنه لا تهلك، وفي القرآن بيان لتلك السنّة فقال الله تعالى) :وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ] (هود: ١١٧)

سنّة التغيير:

وهي من السنن المتعارف عليها بين الناس وتجد أمثال وأقاويل متناقلة عن التغير مثل دوام الحال من المُحال، وذكرها الله في القرآن التي فقال) : إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد:١١ [وتفيد سنّة التغيير أنّ الله لا يبدل حال القوم إلا بتغيير القوم ما في قلوبهم وامتثلوا لأوامر الله وعملوا ما يرد، غيّر الله حالهم لأفضل حال، وأمّا إذا عصوا الله ولم يلتزموا بأوامره فيغيّر حالهم لحال أسوء.

جاء الإسلام بعد المسيحية بحوالي ستة قرون، ويقوم الدين الإسلامي على خمسة أركان هي التوحيد القائم على الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له وأن محمدا "عليه الصلاة والسلام" عبده

ورسوله وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين، بالإضافة إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى البيت الحرام.

ويتمحور الفعل التاريخي من المنظور الإسلامي حول علاقة الإنسان المخلوق الذي خلقه الله تعالى ليكون خليفة في الأرض يعمرها ويعبد الله فيها ولا يشرك به شيئاً من جهة، وبين الله "تعالى" نافذ الإرادة وعالم الغيب والشهادة الذي ليس كمثله شيء.

ومن خلال هذه العلاقة تتبين معالم التاريخ البشري من خلال المنظور الإسلامي، حيث الإنسان المخلوق الوقتي الذي منحه الله تعالى العقل والقلب وأودع فيه من الأحاسيس والمشاعر والعواطف، كما أودع فيه رشده وبين له السبيل الذي يهدي إلى الرشاد من السبيل الذي يؤدي به إلى الهاوية والهلاك، وسخر له ما على ظهر هذا الكوكب كي يعمره ويفني عمره الزمني المحدود المؤقت في عمارته وفقا لأوامر الله تعالى ونواهيه، لكي يلاقي الله تعالى من بعد موته في يوم القيامة، حيث توضع الموازين القسط للناس جميعا حتى لا تكون للإنسان حجة، ومن بعد ذلك يذهب الناس إلى سبيلين إما سبيل الجنة وإما سبيل النار.

ومن خلال تلك العلاقة أيضاً يتبين لنا أن التاريخ المؤقت إن هو إلا وسيلة للفوز بالتاريخ الأبدي، وتعبيرا عن الفعل الإلهي المباشر في التاريخ من خلال صفات الله تعالى وأسماءه الحسنى جل وعلا.

وكما قد رأينا في التفسير اليهودي والمسيحي للتاريخ فيما يخص مسألة التعامل مع التاريخ، فإن الإسلام لم يدع إلى الهروب من التاريخ على الرغم من نبذه لمظاهر النعيم والترف والجمال التي يتمظهر بها واقع حال هذه الدنيا المحصور في جدران الزمن الوقتي المتناهي، حيث عدَّ الإسلام تلك المظاهر من جملة ما تزدان به الحياة الدنيا وتزين لابن آدم لتكون بالتالي عائقاً يحول دون تقدمه ودون مواصلته لتعمير الأرض ونشر رسالة السماء، على الرغم من كل ذلك فقد أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان الأخذ بالأسباب وفقاً لشرعه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فأمره باستغلال الأرض وعمارتها ومجاهدة النفس وتنظيفها من أدرانها وجهاد الشر والاعوجاج في سبيل الوصول إلى رضوان الله تعالى والفوز بالجنة والخلود فيها والانتقال إلى التاريخ السرمدي.